الإيغال في بيان المعنى الجمالي في نهج البلاغة، دراسة دلالية

أ.د.عدوية عبد الجبار كريم الشرع

دعاء موسى حسن

جامعة بابل / كليّة الآداب / قسم اللغة العربية

Penetration in the Statement of the Aesthetic Meaning in Nahj al-Balaghah, a Semantic Study

Prof. Dr Adawiya Abdul-Jabbar Karim Al-Shara

Doaa Musa Hassan

University of Babylon / College of Arts / Department of Arabic Language

ملخص البحث

الإيغال ضرب من المبالغة، إلّا أنه في القوافي خاصة لا يعدوها، والإيغال مشتق من الإبعاد، يقال: أوغل في الأرض إذا أبعد فيها. وقيل إنه سرعة الدخول في الشيء يقال: أوغل في الأمر إذا دخل فيه بسرعة. وهو أن المتكلم أو الشاعر أوغل في الفكر حتى استخرج سجعه أو قافية تغيير معنى زائد على معنى الكلام، فعلى القول الأول كأن الشاعر قد أبعد في المبالغة وذهب فيها كل الذهاب، وعلى القول الثاني كأنه أسرع الدخول في المبالغة بمبادرته القافية.

والإيغال هو أن يستوفى معنى الكلام قبل البلوغ إلى مقطعه ؛ ثم يأتي بالمقطع فيزيد معنى آخر يزيد به وضوحاً وشرحاً وتوكيداً وحسناً. وهو أيضاً نوع من تمكين الكلام في النفوس ؛ إذ إنّ بلاغة الكلام ما كشف أوله عن آخره، وما دلت موارده على مصادره.

وقد وظف الإمام علي (عليه السلام) في مواضع جمالية عدّة، عمد فيها إلى التفصيل في بيان دلالتها في أكثر من عبارة، وهو القادر على إيجازها بعبارة واحدة ؛ إلا إنه آثر أن يعطيها حقها في الوضوح والتقصي، فلا يترك شيئا منها بلا بيان ؛ ليثبت معناه عند المتلقي ويتمكن منه.

الكلمات المفتاحيّة:

الإيغال، وصف النبات والشجر في الجنة، الطاووس، خلق الإنسان، النملة

Abstract

Penetration is a form of exaggeration، except that in rhymes in particular they do not count. Penetration is derived from deportation. It is said: He penetrated the land if he was far away from it. It also refers to the speed of entering into something. It is said: He delved into the matter if he entered into it quickly. It is that the speaker or poet delved into the thought until he extracted his assonance or rhyme, changing a meaning that is additional to the meaning of the speech. According to the first opinion, it is as if the poet went too far into exaggeration and went completely wrong with it, and according to the second opinion, it is as if he quickly entered into exaggeration by initiating the rhyme.

Penetration is the achievement of the meaning of the utterance before reaching its section. Then he comes with the section and adds another meaning that increases clarity, explanation, emphasis and goodness. It is also a kind of enabling speech in the soul. The eloquence of speech is what reveals its beginning to its end, and its resources indicate its sources.

Imam Ali (peace be upon him) used aesthetic terms in several places, in which he went into detail in explaining their meaning in more than one phrase, and he is able to summarize them in one phrase. However, he preferred to give it its right for clarity and investigation, and did not leave any of it without explanation to confirm its meaning to the recipient and enable him to use it.

Keywords: penetration, description of the plants and trees in Paradise, the peacock, the creation of man, the ant

اهتم العلماء والبلاغيون بظاهرة الإيغال، وأولوها العناية، وهي ضرب من المبالغة، والإيغال في اللغة: هو الإمعان في الشيء،والدخول فيه، وأوغل في البلاد، ذهب وبالغ[١].

وفي الإصطلاح: هو أن ((المتكلم أو الشاعر أوغل في الفكر حتى استخرج سجعة أو قافية تغيير معنى زائد على معنى الكلام))[٢]، أما أبو هلال العسكري (ت:٣٩٥ه) فقد عرّفه بأنه ((يستوفي معنى الكلام قبل البلوغ الى قطعه، ثم يأتي بالمقطع فيزيد معنى آخر يزيد به وضوحًا وشرحًا وتوكيدًا حسنًا))[٣]، والإيغال يعد من بديع المعنى، وهو ضرب من المبالغة؛ ((لأنه ختم الكلام بما يفيد نكته يتم المعنى دونها))[٤]، وذهب البعض إلى أنه فن خاص بالشعر؛ إلا أن هذا الكلام غير دقيق؛ لأنه موجود في القرآن الكريم، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [يس:٢٠-٢١]، فقوله (وهم مهتدون، إيغال؛ لأنه يتم المعنى بدونه، إذ الرسول مهتد لا محالة؛ لكن فيه زيادة مبالغة في الحث على اتباع الرسول والترغيب فيه[٥].

وظف الإمام علي (عليه السلام) أسلوب الإيغال في بيان المعنى، في مواضع جمالية عدّة، عمد فيها إلى التفصيل في بيان دلالتها في أكثر من عبارة، وهو القادر على إيجازها بعبارة واحدة؛ إلا إنه آثر أن يعطيها حقها في الوضوح والتقصي، فلا يترك شيئا منها بلا بيان؛ ليثبت معناه عند المتلقي ويتمكن منه، من ذلك قوله (عليه السلام) في وصف النبات والشراب في الجنة: ((فَلَوْ رَمَيْتَ بِبَصَرِ قَلْبِكَ نَحْوَ مَا يُوصَفُ لَكَ مِنْهَا لَعَزَفَتْ نَفْسُكَ عَنْ بَدَائِعِ مَا أُخْرِجَ إِلَى الدُّنْيَا مِنْ شَهَوَاتِهَا وَلَذَّاتِهَا، وَزَخَارِفِ مَنَاظِرِهَا، وَلَذَهِلَتْ بِالْفِكْرِ فِي اصْطِفَاقِ أَشْجَارٍ[٦] غُيِّبَتْ عُرُوقُهَا فِي كُثْبَانِ الْمِسْكِ عَلَى سَوَاحِلِ

أَنْهَارِهَا، وَفِي تَعْلِيقِ كَبَائِسِ اللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ فِي عَسَالِيجِهَا[٧] وَأَفْنَانِهَا[٨]، وَطُلُوعِ تِلْكَ الثِّمَارِ مُخْتَلِفَةً فِي غُلُفِ أَكْمَامِهَا، تُجْنَى مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ فَتَأْتِي عَلَى مُنْيَةِ مُجْتَنِيهَا، وَيُطَافُ عَلَى نُزَّالِهَا فِي أَفْنِيَةِ قُصُورِهَا بِالْأَعْسَالِ الْمُصَفَّقَةِ، وَالْخُمُورِ الْمُرَوَّقَةِ. قَوْمٌ لَمْ تَزَلِ الْكَرَامَةُ تَتَمَادَى بِهِمْ حَتَّى حَلُّوا دَارَ الْقَرَارِ، وَأَمِنُوا نُقْلَةَ الْأَسْفَارِ. فَلَوْ شَغَلْتَ قَلْبَكَ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ بِالْوُصُولِ إِلَى مَا يَهْجُمُ عَلَيْكَ مِنْ تِلْكَ الْمَنَاظِرِ الْمُونِقَةِ، لَزَهِقَتْ نَفْسُكَ شَوْقاً إِلَيْهَا، وَلَتَحَمَّلْتَ مِنْ مَجْلِسِي هذَا إِلَى مُجَاوَرَةِ أَهْلِ الْقُبُورِ اسْتِعْجَالاً بِهَا. جَعَلَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ يَسْعَى بِقَلْبِهِ إِلَى مَنَازِلِ الْأَبْرَارِ بِرَحْمَتِهِ)[٩].

في الكلام السابق فسّر الإمام (عليه السلام)، كلامه ((فلو رميت ببصر قلبك نحو ما يوصف لك منها لعزفت نفسك عن بدائع ما أُخرج الى الدنيا))؛ إذ كلامه واضح حول جمال الآخرة وأنها أفضل من الدنيا بكل ما فيها من بدائع؛ إلا إنه فصّل فيهما، فبدأ ببدائع الدنيا، والمقصود منها، وهي (شهواتها، ولذاتها، وزخارف مناظرها)، فالكلمات الثلاث السابقة أوجزت جمال الدنيا كله، فلا يوجد جمال فيها يخرج عن هذا الوصف، ثم انتقل الى وصف جمال الآخرة بمقارنة عميقة وبديعة مع الدنيا، فأوغل في وصف الشجر واهتزازه وجذوره ومكان وجوده في الجنة، وطريقة ترتيب ثمارها وتنوعها وكيفية جنيها، ووصف جذوعها وأغصانها، وشرابها، وطريقة تقديمه، بقوله: ((وَلَذَهِلَتْ بِالْفِكْرِ فِي اصْطِفَاقِ أَشْجَارٍ غُيِّبَتْ عُرُوقُهَا فِي كُثْبَانِ الْمِسْكِ عَلَى سَوَاحِلِ أَنْهَارِهَا، وَفِي تَعْلِيقِ كَبَائِسِ اللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ فِي عَسَالِيجِهَا وَأَفْنَانِهَا، وَطُلُوعِ تِلْكَ الثِّمَارِ مُخْتَلِفَةً فِي غُلُفِ أَكْمَامِهَا، تُجْنَى مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ فَتَأْتِي عَلَى مُنْيَةِ مُجْتَنِيهَا، وَيُطَافُ عَلَى نُزَّالِهَا فِي أَفْنِيَةِ قُصُورِهَا بِالْأَعْسَالِ الْمُصَفَّقَةِ، وَالْخُمُورِ الْمُرَوَّقَةِ))

نلحظ أن الإمام (عليه السلام) بدأ وصفه بالجملة الشرطية المصدرة بالأداة (لو) غير الجازمة، التي تربط حدثين مختلفين؛ إذ ((تقتضي فعلا ماضيا كان يتوقع ثبوته لثبوت غيره والمتوقع غير واقع))[١٠]، في سياق الشرط المتكرر بحرف العطف (الواو)؛ لذا تصرف الفعل الى الزمان الماضي الإمتناعي حتى إن كان الفعل يدل على الحال، أو الاستقبال، وفي نص الإمام (عليه السلام) فإن كلامه يدل على الزمن المستقبلي غير المحدد؛ إذ إن معنى (لو) ((يفيد في بيان حالة الحدث؛ إذ يدل على عدم الوقوع فقط، لكنها لا تدل على زمان محدد، فقد يأتي بعدها المستقبل بصيغة (فعل)، أو (يفعل) إذا كان السياق أو المقام يدل على ذلك))[١١]، وتناولها الزمخشري (ت: ٥٣٨ه) بالبحث فوضعها في قسم التمني على أنه أمر لم يحدث؛ بمثال (ولو ترى)، أي (وليتك ترى)[١٢].

والمرادي (ت:٧٤٩هـ) وضعها مع (أن) في الدلالة على الشك في حدث المستقبل[١٣]، وتصرف الماضي إلى الاستقبال فربطها بالمستقبل؛ لذا فإن ((دراسة معاني الكلمات تتطلب تحليلاً للسياقات والمواقف التي ترد فيها))[١٤]، وهنا يوجه الإمام (عليه السلام) كلامه لمستمعيه، وهي خطبة وفيها مستمعين؛ بقرينة قوله ((فلو شغلت قلبك أيها المستمع))[١٥]، فيضع أمامهم الحياتين (الدنيوية والأخروية) في كفّتي ميزان واحد تحت إدراك عقل المتلقي وفهمه، بصرف النظر عن مستوى ثقافته ودرجة وعيه، وفضلاً عن تلك المقاربة الناضجة، فالخطبة تحمل دعوة إنذار وتحذير فوعيد وترغيب وتأمل، إذ يحمل مضمون النص مزايا الآخرة، ويشدد على ديمومة نعيمها، ويلهج بخصوصية مباهجها[١٦].

إنّ الإمام هنا على الرغم من انحيازه الواضح إلى كفّة الحياة الآخرة،

فإنّه نوّه بالمزايا المطلوبة لذلك، وترك للمتلقّي حريّة التقصّي والاستنتاج ثمّ الاختيار، كما ترك له حريّة اختيار السبيل لكبح جماح النفس ولَجْم نزواتِها. فاتبع في كلامه الأسلوب الترغيبي؛ لحثهم على العمل وإيقاظ الشوق نحو الآخرة، ووصف الجنّة بدار النّعيم و الرّحمة، فعندما قال (عليه السّلام) (فلو رميت ببصر قلبك) أي لو نظرت بعين بصيرتك (نحو ما يوصف لك منها)، أي إلى جهة ما وصف اللهّ لك و رسوله في الكتاب و السنّة من نعيم الجنّة و ما أعدّ اللهّ فيها لأوليائه المؤمنين، (لعزفت نفسك) وأعرَضَت (عن بدايع ما أخرج إلى الدّنيا من شهواتها و لذّاتها و زخارف مناظرها) ولم تجد لشيء منها وقعا عندها، (ولذهلت) مغمورة (بالفكر في) عظيم ما أُعدّ في دار الخلد من (اصطفاق أشجار) و اهتزازها بريح (غيّبت عروقها) في تلال من المسك بدل الرّمل (على سواحل أنهارها)، و لذهلت بالفكر (في تعليق كبائس اللّؤلؤ الرّطب في عساليجها و أفنانها)، أي فروعها، و أغصانها[١٧]، فناسب أسلوب الشرط بأداته (لو)، الحدث المستقبلي بكل تفصيلاته الدقيقة التي أوغل الإمام (عليه السلام) في وصفها؛ إذ ربطت بين حدثين، يكون سياقها فيه خياليا؛ ((أما الزمان فلا أثر لها فيه،.. وقد يجتمع في سياقها أكثر من زمان))[١٨].

ولم يكتف الإمام علي (عليه السلام) عند هذا الحد؛ بل أراد أن يُبهر مستمعيه أكثر ويرغبهم أكثر ففصَّل، في وصف ثمار الجنة، بقوله: ((طلوع تلك الثمار مختلفة في غلف أكمامها)) وطريقة جنيها، وطعمها، بطريقة تشعرك وكأنك تراها بقلبك وتتحسسها ببصيرتك؛ لجمال الوصف ودقته؛ إذ لم يترك دقيقة من دقائقها الرائعة إلا وذكرها، بصورة جمالية تقريبية متجسدة في الحياة، يتلمسها

الإنسان كل يوم.

يتضح من ذلك أثر القرينة الجمالية بين الواقع الملموس والمُتخيل بمعنى أنّ الواقع يقارن المتخيل وأنّ الصورتين تشبهان بعضهما، وهذا ما أراد الإمام (عليه السلام)، إيصاله بوصفها فكرة جمالية، ومقاربة بين الحياة الدنيا الفانية وحياة الآخرة القائمة على أساس ثواب المؤمن ومكافئته.

فوصف طلوع تلك الثمار مختلفة، فيها رأيان، هما، الأول: أن يراد باختلاف الثمار اختلافها لاختلاف الأشجار بأن يحمل كلّ نوع من الشّجر نوعاً من الثمر كما في أشجار الدّنيا فيكون ذكر الاختلاف إشارة إلى عدم انحصار ثمر الجنّة بنوع، أو نوعين، والثاني: أن يراد به اختلافها مع وحدة الشّجرة، فذكر الاختلاف للدّلالة على عظيم قدرة المُبدع سبحانه[١٩]؛ إذ إن كل شجرة من الأشجار تحمل نوعا من الثمار مغايراً لنوع آخر من حيث النكهة والطعم بما يناسب ذوق الانسان، ولعل القرينة في ذكر الثمار أن لكل شجرة ثمرها المختلف عن ثمر الشجرة الأخرى، وهو ما نميل إليه، بدليلٍ نقلي يُعد قرينة لفظية، وهي تفسير الإمام (عليه السّلام) لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة البقرة، الآية الكريمة ٣٥].

قال عليه السّلام: ((هي شجرة تميّزت بين سائر أشجار الجنّة؛ فأشجار الجنّة كان كلّ نوع منها يحمل نوعا من الثمار والمأكول، وكانت هذه الشّجرة وجنسها تحمل البرّ والعنب والتين والعنّاب وساير أنواع الفواكه والثمار والأطعمة، فلذلك اختلف الحاكون بذكر الشجرة فقال بعضهم: هي برّة، وقال آخرون: هي عنبة، وقال آخرون: هي عنّابة))[٢٠].

وأيضا ما نُقل باسناده إلى عبد السّلام بن صالح الهروي[٢١] قال:

قلت للرّضا (عليه السّلام) ((يا ابن رسول اللهّ أخبرني عن الشّجرة الّتى نهي عنها آدم وحوّاء ما كانت؟ فقد اختلف النّاس فيها، فمنهم من يروي أنّها الحنطة، ومنهم من يروى أنّها العنب، ومنهم من يروي أنّها شجرة الحسد، فقال (عليه السّلام): كلّ ذلك حقّ، قلت: فما معنى هذه الوجوه على اختلافها؟فقال عليه السّلام: يا أبا الصلت إنّ شجرة الجنّة تحمل أنواعاً، وكانت شجرة الحنطة، وفيها عنب ليست كشجرة الدّنيا فافهم))[٢٢].

نلحظ من ذلك أن الصورة الجمالية، للجنة ونباتاتها، التي هي صورة موصوفة للجنة التي وعد الله (عز وجل) بها المؤمنين، قد فصّل فيها الإمام (عليه السلام) بخطابٍ مطول، ((سمته التفصيل والخوض في الجزئيات والتطويل))[٢٣]؛ لأن الموضوعات التي تدور حول الأمور الحياتية والكيفية التي تتسم بها شؤون الحياة والمجتمع والإنسان، تقتضي الإطالة والبسط والاستطراد في الكلام[٢٤].

إنّ ورود الفنون اللغوية من، تشبيه واستعارة، وكناية، إنما هو ضرب من ضروب جمالية اللغة وإبداع منشئها فلا يتهيأ لأحد أن يبلغ هذا المبلغ من الجمال اللفظي سوى الإمام علي (عليه السلام) وما نتلمسه، منها الاستعارة المكنية، في قوله (يبصر قلبك)، إذ شبه القلب بالإنسان، وحذفه وأبقى لازمة من لوازمه، وهي البصر، إذ أضاف البصر الى القلب، فتغير المعنى اللفظي بقرينة السياق فحوله من البصر إلى البصيرة، فجسدت هذه الاستعارة بعداً جمالياً كبيراً من حيث الجمال اللفظي والمعنوي في آن واحد[٢٥].

إنّ وصف الجنة وأشجارها وثمارها، واختلاف تلك الثمار، بهذا التفصيل والإيغال بالمعنى، هو دفع ذكي بالمتلقي لرسم تلك الصورة في

مخيلته عن الجنة، ولو حاولنا حذف مفردة واحدة مما جاء في وصف الامام (عليه السلام)؛ لاختل المعنى تماما والسبب في ذلك أنّ تراص ، وانسجام المفردات في هذه الخطبة قد جاء مؤديا للمعنى المراد منها من دون زيادة، أو نقصان.

استعمل الإمام (عليه السلام)، طريقة الإيغال لبيان المعنى في وصف الجنة وتعميمها، لترغيب المتلقي، ودفعه للعمل في الدنيا من أجل الحصول عليها.

ومن الإيغال في بيان المعنى الجمالي عند الإمام علي (عليه السلام)، وصفه جمال ألوان ريش الطاووس؛ إذ ذكر في بداية كلامه ((فإن شبهته بما أنبت الأرض قلت: جَنيٌّ جُنيّ من زهرة كل ربيع))، إذ هذا الكلام يعني أن ريش الطاووس قد جمع من مختلف ألوان أزهار الربيع، وأنه جَمعَ كل لون، في ريشه، فهذا المعنى الأساس في هذا الوصف، ثم فصّل (عليه السلام)؛ ليقرب الصورة الجمالية الى ذهن المتلقي، بقوله: ((وَإِنْ ضَاهَيْتَهُ بِالْمَلابِسِ فَهُوَ كَمَوْشِيِّ الْحُلَلِ أَوْ كَمُونِقِ عَصْبِ الْيَمَنِ))[٢٦]، أي: إن شابهته، أو أردت مثيلا لألوانه وتناسقها؛ فسنجده في زخرفة الحلل الجميلة، ونقش وجمال القماش اليمني، ثم لم يكتف بهذا الوصف، الذي كان بمقدرته أن يكتفي به، بل أوغل أكثر في تقريب الصورة الجمالية للطاووس عند المتلقي بأن شبهه أيضا بأنواع الحلي، بقوله (عليه السلام): ((وَإِنْ شَاكَلْتَهُ بِالْحُلِيِّ فَهُوَ كَفُصُوص ذَاتِ أَلْوَان، قَدْ نُطِّقَتْ بِاللُّجَيْنِ الْمُكَلَّلِ))[٢٧]، أي إن أردت أيها السامع أن تشبّه ألوان وشكل ريشه، بالحلي والمجوهرات، فإن ريشه يشبه الأحجار الكريمة بكل ألوانها وأنواعها، وبلغت دقته وعمق وصفه بأن خصص الأحجار الكريمة بصياغتها بالفضة، لإيغاله في بيان

امتزاج وإشراقة ألوان الطاووس؛ إذ لون الفضة يظهر الألوان المجاورة له، أو الممتزجة معه أوضح وأجمل.

نلحظ أن مبالغة الإمام علي (عليه السلام)، في وصف ألوان ريش الطاووس بهذه الطريقة؛ كانت لأسباب، هي؛ أولا: لاظهار جمال وعظمة وقدرة الخالق (عز وجل)في خلقه.

ثانيا:أن الطاووس لم يكن من الطيور المألوفة عند العربي، أو المتواجدة في بيئته؛ لذا أوغل في بيان وصفه، وأكثر من تشبيهاته القريبة لهم.

ومن الإيغال في بيان المعنى عند الإمام (عليه السلام)، قوله في وصف خلق الإنسان: ((أَيُّهَا الْـمَخْلُوقُ السَّوِيُّ[٢٨]، وَالْمُنْشَأُ الْمَرْعِيُّ، فِي ظُلُمَاتِ الأَرْحَامِ، وَمُضَاعَفَاتِ الأَسْتَارِ، بُدِئْتَ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ طِينٍ، وَوُضِعْتَ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ وَأَجَلٍ مَقْسُومٍ، تَمُورُ[٢٩] فِي بَطْنِ أُمِّكَ جَنِيناً لاَ تُجِيرُ دُعَاءً، وَلاَ تَسْمَعُ نِدَاءً، ثُمَّ أُخْرِجْتَ مِنْ مَقَرِّكَ إِلَى دَارٍ لَمْ تَشْهَدْهَا، وَلَمْ تَعْرِفْ سُبُلَ مَنَافِعِهَا; فَمَنْ هَدَاكَ لِاجْتِرَارِ الْغِذَاءِ مِنْ ثَدْيِ أُمِّكَ؟ وَعَرَّفَكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ مَوَاضِعَ طَلَبِكَ وَإِرَادَتِكَ؟!))[٣٠].

فسّر قوله (عليه السلام): ((أيها المخلوق السّوي))، وهو قول إجمالي لتمام خلقة الإنسان بعد مروره بكل مراحل التطور والنمو الجنيني، فيكون بذلك قد استوفى معنى الكلام قبل البلوغ الى المقطع الآخر[٣١]، بعد هذا المقطع بدأ الإمام (عليه السلام)، يُفصّل خلق الإنسان، بقوله: ((بدئت من سلالة من طين))[٣٢]، فبدأها من خلق سيدنا آدم (عليه السلام)، وهو أصل خلق الإنسان فخصصه بتركيب منفرد؛ لأنه الوحيد الذي خلق من طين، فاستَلَّه[٣٣] استلالاً من الأرض ، مرةً واحدةً في وقتٍ واحد، وبمرحلةٍ واحدة.

أما الخلق الآخر، فكان أن أبدع الله (عز وجل) في مراحل نموه وتركيبه؛ إذ يمر بمراحل متعددة غاية في الدقة والكمال في الصنع؛ لذا فإن هذا الخلق يحتاج الى تراكيب أكثر تفصله، تمثل الفترة الزمنية التي يحددها الله (عز وجل)؛ لاكتماله، فيفصّل (عليه السلام): ((ووضعت في قرار مكين)، وهي المرحلة الأولى لخلقه، إذ وضِعَ في قرار مستقر، وهو الرحم المتمكن من حفظ هذه النطفة فيه[٣٤].

انتقل بعدها الإمام (عليه السلام)؛ إلى ذكر زمن هذا الإنسان، بدأ من أول يوم في دنياه حتى مماته الذي أوجزه في عبارتين؛ الأولى (قدر معلوم)، وهي المدة المحددة للحمل، وقوله (وأجلٍ مقسومٍ) وهي المدة المحددة له في الحياة، وانتهاء اجله، ثم يعود إلى وصف حاله في بطن أمه وهو جنين، بقوله: ((تَمُورُ فِي بَطْنِ أُمِّكَ جَنِيناً لاَ تُحِيرُ دُعَاءً، وَلاَ تَسْمَعُ نِدَاءً))، أي: تتحرك في بطن، لا تستطيع الكلام أو تسمع شيء، وهو بذلك يذكر أحوال الإنسان في الرحم حتى استكمل خلقه لينبّه على بدائع خلق الله (عز وجل) واعجازه، ثم فصّل بطريقة تغذية هذا الإنسان عند ولادته ومن الذي علمه ذلك، وهو التقام ثدي أمه، والرضاعة بهذه الطريقة، بقوله: ((فَمَنْ هَدَاكَ لِاجْتِرَارِ الْغِذَاءِ مِنْ ثَدْيِ أُمِّكَ؟ وَعَرَّفَكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ مَوَاضِعَ طَلَبِكَ وَإِرَادَتِكَ؟!))[٣٥].

إنّ تفصيل الإمام (عليه السلام)، وإيغاله في بيان خلق الإنسان، ومدته الزمنية في الحياة، هو لإشعارهم بعظمة الخالق، وجمال خَلْقِه، وتحيير عقولهم.

ومن الإيغال قوله (عليه السلام)، في وصف النملة، وطريقة الحصول على رزقها: ((انْظُرُوا إِلَى النَّمْلَةِ فِي صِغَرِ جُثَّتِهَا، وَلَطَافَةِ هَيْئَتِهَا، لاَ تَكَادُ تُنَالُ بِلَحْظِ الْبَصَرِ،

وَلاَ بِمُسْتَدْرَكِ الْفِكَرِ، كَيْفَ دَبَّتْ عَلَى أَرْضِهَا، وَصَبَتْ عَلَى رِزْقِهَا، تَنْقُلُ الْحَبَّةَ إِلَى جُحْرِهَا، وَتُعِدُّهَا فِي مُسْتَقَرِّهَا. تَجْمَعُ فِي حَرِّهَا لِبَرْدِهَا، وَفِي وِرْدِهَا لِصَدَرِهَا، مَكْفُولٌ بِرِزْقِهَا، مَرْزُوقَةٌ بِوِفْقِهَا، لاَ يُغْفِلُهَا الْمَنَّانُ، وَلاَ يَحْرِمُهَا الدَّيَّانُ، وَلَوْ فِي الصَّفَا الْيَابِسِ، وَالْحَجَرِ الْجَامِسِ))[٣٦].

وصف الإمام (عليه السلام) أولاً حجم النملة بأنها صغيرة الحجم، فقال: ((انظروا إلى النملة في صغر جثتها ولطافة هيئتها)، وهي عبارة عامة، ثم بعد ذلك فصّل في بيان دلالة هذهِ العبارة في أكثر من تركيب، فقال ((لا تكاد تُنَالُ بلحظِ البصر))، وأردفها بقوله ((ولا بمستدرك الفكر)، ثم يسأل سؤال متعجب (كيف دَبَّت على أرضها))، بعباراتٍ ثلاث، وهو القادر على إيجازها بعبارة واحدة؛ إلا إنه آثر الإطناب فيها ففسر وفصّل أكثر؛ ليثبت المعنى الأول، وهو صغر حجمها في ذهن المتلقي، ليكمل الصورة الثانية في وصفهِ للنملة، في ذهن المتلقي، وهو (كيفية الحصول على رزقها)، الذي قال فيه: ((وصبت على رزقها))، أي اندفعت على رزقها للحصول عليه، وهي عبارة عامة أوجزت كل الطرق التي ممكن الكائن أن يحصل فيها على رزقه؛ إلا إن الإمام (عليه السلام)، عمد إلى التفصيل في وصف طرق حصولها على طعامها، فقال: (تنقل الحبة إلى حُجرها)، و(تعدّها في مستقرها)، و(تجمع في حرها لبردها)، و(في ورودها لصدرها)، بسياق فعلي متكرر بحرف العطف (الواو)، فذكر مراحل جمعها لغذائها مرحلة فمرحلة بالترتيب، فاستعمل في وصفه الفعل المضارع الذي يتصدر كل عبارة منها، ليدل على استمرار حصولها على رزقها وحدوثه إلى هذه الساعة، وبشكل مستمر.

ولم يكتف الإمام (عليه السلام) عند هذا الحد؛ بل أوغل في

بيان معنى ثالث خاص بالنملة، وهو رزقها المكفول من الله (عز وجل)؛ ليثبت للمستمعين، ويضعهم أمام حقيقه، أن الله (عز وجل) هو الذي يتكفل برزق المخلوقات حتى الصغيرة منها التي لا تكاد وتُرى بالعين وهي النملة، فكيف بمن يتوكل عليه من البشر، فذكرها بعبارة عامة، وهي (مكفول برزقها)، وهو سياق اسمي يتسم بالثبات والاستقرار[٣٧]، وهو ناسب دلالة كفالة رزقها من الخالق (عز وجل)؛ ثم أردف قوله بتفصيل يُبيّن فيه بعبارات يؤكد فيها هذا المعنى، بقوله: (مرزوقة بوفقها)، و(لا يغفلها المنّان)، و(لا يحرمها الديان)، (ولو في الصَّفا اليَابس)، و(الحجر الجامس).

نلحظ هنا أن الإمام (عليه السلام)، لم يترك وصف يدل على هذا المعنى أو مرادف له، إلا وذكره، وفصّل فيه، بصورة جمالية تجسّد حياة هذا المخلوق الصغير، بكل تفصيلاته الدقيقة، بلغة غاية في الروعة والجمال.

النتائج:

بعد وقوفنا على نهاية هذا البحث الموسوم (الإيغال في بيان المعنى الجمالي في نهج البلاغة، دراسة دلالية) أذكر أهم النتائج التي توصلت اليها:

١- الإيغال ليس مقصوراً على الشعر، وإنما يجيء به في الشعر والنثر على حدٍ سواء، ومجيئهِ في النثر المسجوع أكثر، وذلك لإتمام الفواصل وزيادة المعنى، وهو ما لاحظناه في خطب الإمام علي (عليه السلام).

٢- الإيغال لا يأت في الكلام إلا لنكتة، إما لزيادة المبالغة، أو لدفع توهم غير مقصود.

٣- استعمل الإمام علي (عليه السلام)، طريقة الأيغال لبيان المعنى في وصف الجنة ونعيمها؛ لان الجنة غير ماثلة أمام العربي، لذا تحتاج إلى ايضاح وإيغال أكثر في وصفها، ليقربها من المتلقي.

٤- استعمل الإمام علي (عليه السلام)

أسلوب الإيغال في وصف الوان وشكل الطاووس، إذ شبهه بالأحجار الكريمة المصاغة بالفضة؛ لإيغاله في بيان امتزاج وإشراقة ألوان الطاووس.

٥- وظف الإمام علي (عليه السلام) أسلوب الإيغال في بيان مراحل نمو وتركيب الإنسان؛ لأنه يمر بمراحل متعددة غاية في الدقة والكمال في الصنع.

٦- عمد الإمام علي (عليه السلام) الى التفصيل في وصف طرق حصول النملة على طعامها؛ ليثبت للمستمعين ويضعهم أمام حقيقة، أن الله (عز وجل) هو الذي يتكفل برزق المخلوقات حتى الصغيرة منها التي لا تكاد ترى بالعين.

الهوامش:

١- ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري:٥/ ١٨٤٤، مادة (وغل)، ومجمل اللغة، لابن فارس:٩٣١ باب الواو والغين وما يثلثهما، و المعجم الوسيط: ٢/ ١٠٤٥، باب الواو.

٢- تحرير التحبير، ابن ابي الاصبع: ٢٣٢.

٣- الصناعتين، ابو هلال العسكري: ٣٨٠، وينظر: علم البديع، عبد العزيز عتيق:٤٩.

٤- الايضاح في علوم البلاغة، للقزويني:٣/ ٢٠٢،وينظر: علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع، للمراغي:١٩٤، وصيغ المبالغة وطرائقها في القرآن الكريم، دراسة احصائية صرفية دلالية، كمال حسن رشيد صالح،(رسالة ماجستير): ٦٥.

٥- ينظر: صيغ المبالغة وطرائقها:٦٥.

٦- اصطفاق الشجر: اهتزازها، ينظر: تاج العروس، للزبيدي: ٢٦/ ٣٥، مادة (صفق).

٧- العسلاج: ما لان واخضرّ من قضبان الشجر والكرم أول ما ينبت، ينظر:تهذيب اللغة، للأزهري:٣/ ٢٠٨، مادة (عسلج)، والمحكم والمحيط الأعظم،لابن سيده: ٢/ ٤٢٦ باب العين والجيم.

٨- أفنان: الغصن المستقيم من الشجرة ، ينظر: تهذيب اللغة:١٥/ ٣٣٥ باب النون والفاء، وتاج العروس:٣٥/ ٥١٦،مادة (فنن).

٩- شرح نهج البلاغة، ابن ابي حديد: ٩ / ٢٧٨.

١٠- الجنى الداني، للمرادي: ٢٧٥، وينظر: همع الهوامع، للسيوطي: ٢/ ٥٦٨.

١١- اتجاهات التحليل الزمني في الدراسات اللغوية، د. محمد عبد الرحمن الريحاني: ١٨٤.

١٢- ينظر: الكشاف،للزمخشري:

٣/ ٥١٠، وينظر:٣/ ٣٢٣، ١/ ٢١٢ .

١٣- ينظر: الجنى الداني: ٢٨٤.

١٤- علم الدلالة، احمد مختار عمر:٦٩، وينظر:القرائن الدلالية في التعبير القرآني، د. عدوية عبد الجبار كريم الشرع:١٠٧.

١٥- شرح نهج البلاغة، ابن ابي حديد٩/ ٢٧٨.

١٦- ينظر: في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية:٢/ ٤٧٨.

١٧- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، حبيب الله الهاشمي الخوئي: ١٠ / ٦٥-٦٦.

١٨- اتجاهات التحليل الزمني في الدراسات اللغوية: ١٨٦.

١٩- ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة:١٠ / ٦٦.

٢٠- بحار الانوار، للعلامة المجلسي: ١١ / ١٩٠.

٢١- أبو الصلت الهروي، عبد السلام بن صالح الهروي، من أصحاب علي الرضا، وأحد المحدّثين والمتكلمين في عصره. يعود نسبه إلى أصول فارسية من مدينة «هرات» ولذا عُرف بالهروي، ينظر: الأنساب للسمعاني: ١٣/ ٤٠٥-٤٠٨.

٢٢- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ١٠ / ٦٦.

٢٣- التنوع في الخطاب القرآني،دراسة اسلوبية، أنمار علي ياسين، (اطروحة دكتوراه): ١٧٠.

٢٤- المصدر نفسه:١٧٠.

٢٥- ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ٣ / ٣١٣.

٢٦- شرح نهج البلاغة، ابن ابي حديد: ٩ / ٢٧١

٢٧- المصدر نفسه: ٩/ ٢٧١.

٢٨- السوي: تام الخلقة لا نقص فيه، ينظر:نهج البلاغة، تحقيق: محمد عبده:١/ ٧٩.

٢٩- تمور: تتحرك، ينظر: تهذيب اللغة: ١٥ / ٢١٣، باب الراء والميم،

مادة (مور).

٣٠- شرح نهج البلاغة، ابن ابي حديد: ٩/ ٢٥٧.

٣١- ينظر: تحرير التحبير: ٢١٠.

٣٢- السلالة من الشيء ما انسلّ منه، ينظر: تهذيب اللغة:١٢/ ٢٠٦،باب السين واللام.

٣٣- استله: اخرجه، ينظر: العين، الخليل بن احمد الفراهيدي: ٧/ ١٩٢، باب السين واللام،مادة (سلّ).

٣٤- ينظر: الكشاف:٣/ ١٧٨.

٣٥- شرح نهج البلاغة، ابن ابي حديد: ٩/ ٢٥٧.

٣٦- المصدر نفسه:١٣ / ٥٥.

٣٧- ينظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي:٤/ ٦٦، والنحو الوافي، د. عباس حسن:٢/ ١٤٥.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

١- اتجاهات التحليل الزمني في الدراسات اللغوية، دكتور محمد عبد الرحمن الريحاني، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، د.ط ، د.ت.

٢- الأنساب، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد (المتوفى: ٥٦٢هـ)، تحقيق:عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الطبعة الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م.

٣- الإيضاح في علوم البلاغة، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: ٧٣٩هـ)، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل - بيروت، الطبعة الثالثة، د.ت.

٤- بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الاطهار، العلم العلامة الحجة فخر الأمة المولى الشيخ محمد باقر المجلسي (قدس الله سره)، مؤسسة الوفاء (بيروت -لبنان) الطبعة الثانية ١٤٠٣ه -١٩٨٣م.

٥- البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، الطبعة الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م

٦- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، دار الهداية، د. ت.

٧- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري (المتوفى: ٦٥٤هـ)، تقديم

وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، د.ط، د.ت.

٨- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، (ت: ٣٧٠هـ) تحقيق: محمد عوض مرعب دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

٩- الجنى الداني في حروف المعاني، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (المتوفى: ٧٤٩هـ)، تحقيق:د. فخر الدين قباوة -الأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.

١٠- شرح نهج البلاغة، ابن ميثم / كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني (ت ٦٧٩ه)، مجمع البحوث الاسلامية - مشهد، الطبعة الاولى ١٤١٧ه.

١١- شرح نهج البلاغة، لابن ابي حديد (٦٥٦ه)، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الاولى ١٣٧٨ه/ ١٩٥٩م.

١٢- الصحاح تاج اللغة وصحاح، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٨٧ م.

١٣- الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ، تحقيق:علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية - بيروت ١٤١٩ هـ.

١٤- علم البديع، عبد العزيز عتيق (المتوفى: ١٣٩٦ هـ)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، د.ط، د.ت.

١٥- علم الدلالة، د. احمد مختار عمر، مكتبة لسان العرب - عالم الكتب (القاهرة)، الطبعة الاولى ١٩٨٥م.
١٦- علوم البلاغة (البيان، والمعاني، والبديع)، احمد مصطفى المراغي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثالثة م.١٩٩٣
١٧- في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية (١٤٠٠ه)، انتشارات كلمة الحق - مطبعة ستار، الطبعة الاولى ١٤٢٧ه.
١٨- كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، تحقيق:د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د.ط، د.ت.
١٩- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ هـ.
٢٠- مجمل اللغة لابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق، زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٦ م.
٢١- المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن اسماعيل بن سيده المرسي (ت:٤٥٨ه)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.
٢٢- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، حبيب الله الهاشمي الخوئي (١٣٢٤ه)، تحقيق:سيد ابراهيم الميانجي، الناشر: بنياد فرهنك امام المهدي (عج) الطبعة الرابعة، د.ت
٢٣- النحو الوافي، عباس حسن (المتوفى: ١٣٩٨هـ)، دار المعارف، الطبعة: الطبعة الخامسة عشرة.
٢٤- نهج البلاغة، تحقيق: محمد عبده، دار المعرفة للطباعة والنشر (بيروت - لبنان)، د.ط، د.ت.

٢٥- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تحقيق:عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية - مصر، د.ط، د.ت.

الرسائل والأطاريح:

١- التنوع في الخطاب القرآني، دراسة اسلوبية، أنمار علي ياسين، جامعة البصرة ١٩٩٩. (اطروحة دكتوراه).

٢- صيغ المبالغة وطرائفها في القرآن الكريم، دراسة احصائية صرفية دلالية، كمال حسن رشيد صالح، إشراف: أ.د. أحمد حسن حامد، جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين، ٢٠٠٥م. (رسالة ماجستير)

٣- القرائن الدلالية للمعنى في التعبير القرآني، د. عدوية عبد الجبار كريم الشرع، إشراف الدكتور كاصد ياسر الزيدي، جامعة بغداد - كلية التربية للبنات ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م. (اطروحة).